

دراسة في دولة العيونيّين

العيونيون يجزّون

الأمير عبد الله بن علي يدفع بدّهائه

الشاعر من مقرب يسجل

بقلم: الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

والدكتور علي أبا حسين

استطاع أبو البهلول من جزيرة أوال أن يضع بداية النهاية لدولة القرامطة التي دوخت جيوش الخلافة ولكن إذا كان أبو البهلول قد وضع البداية فإن نهاية القرامطة كانت على يد دولة العيونيّين ، فقد أجهزوا على القرامطة في الاحساء ودفعوا بهذه الحركة من أرض الواقع السياسي في المنطقة الى زوايا التاريخ . وبعد القرامطة قامت دولة العيونيّين . وفي الاحساء والقطيف والبحرين وابتداء من عام ٤٦٧هـ - ١٠٧٤م وحتى ٦٣٦هـ - ١٢٣٨م شهد تاريخ المنطقة احدى الدول الكبيرة التي استمرت مائة وتسعة وستين عاما

على القرامطة في الأحساء

جيش العبدالي رمال الربع الخالي

تاريخ العيونيين في قصائد

سل القرامط من شظى جماجمهم
فلقا وغادرهم بعد العلا خدما
من بعد أن جل في البحرين شأنهم
وارجفوا الشام بالغارات والحرما

يجد الباحث في تاريخ الدولة العيونية صعوبة في البحث لقلة المصادر واضطراب الأخبار المدونة فيها وأهم مصدر لتاريخ هذه الحقبة الزمنية من تاريخ اقليم البحرين هو ديوان الشاعر العيوني (على بن المقرب) والشرح الذى على هامشه ومصادر أخرى مقتضبة ومتضاربة كتبت في القرن العاشر الهجرى وما بعده لذلك اعتمدنا

على الشعر في تصحيح أى التباس بين المصادر التى بين أيدينا لأن الشاعر أحد أفراد هذه العائلة وعاصر كثيرا من أحداثها وكان قريب العهد والرواية للأحداث التى سبقت الفترة التى عاش فيها ، فهو وإن لم يكن قد عاصر بداية هذه الدولة فقد عاصر نهايتها حيث أن الدولة العيونية بدأت عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م وانتهت عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م أى أن مدة حكمهم كانت مائة وتسعة وستين سنة .

تأسست دولة العيونيين في اقليم البحرين على يد (عبدالله بن على بن محمد بن ابراهيم العيوني)

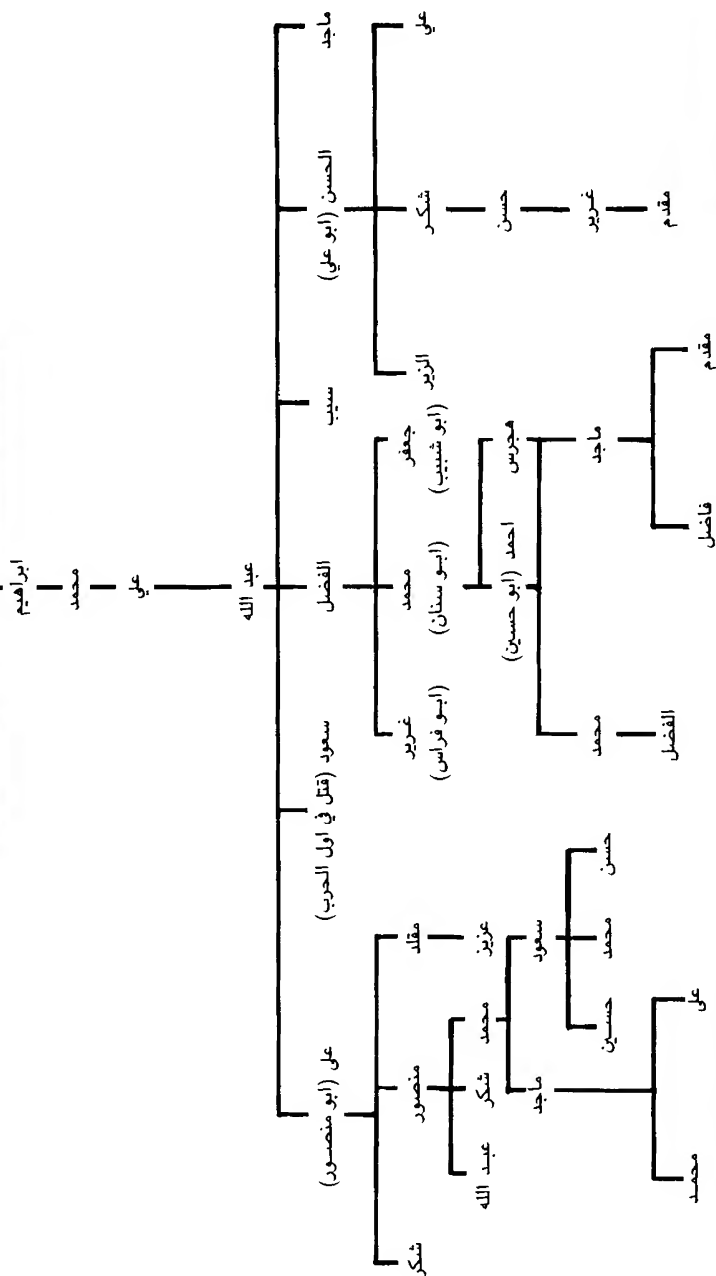
والعيونيون هم فخذ من قبيلة عبدالقيس يعرفون بآل ابراهيم نسبة لجدهم يسكنون الاحساء في واحة تعرف بالعيون ولا تزال تحمل هذا الاسم الى وقتنا الحاضر فاشتهروا بالعيونيين نسبة الى هذا المكان وبدأت حركة عبدالله بن علي ضد القرامطة الموجودين في الاحساء بعد أن تقلص نفوذهم من سائر مناطق اقليم البحرين وعمان وتقوقعوا في الاحساء حيث حصونهم المنيعه ومركز قوتهم . وكان للعيونيين نفوذ قوى في الاحساء يدل على ذلك ان جيش القرامطة الذى هاجم أوال (البحرين) بعد ثورة (أبى البهلول) فيها كان بقيادة أحد رجال العيونيين وهو (بشر بن مفلح العيونى) وقد انهزم هذا الجيش ، وكان عبدالله بن علي رجلا طموحا جريئا فقرر مقاومة القرامطة والقضاء عليهم في الاحساء بعد أن تبين له ضعفهم وفساد ادارتهم ، فكتب الى الخليفة العباسى أبى جعفر القائم بأمر الله . وجلال الدولة ملكشاه السلجوقى ^(١) ووزيره أبى على الحسن بن علي بن اسحق الملقب بنظام الملك ^(٢) يطلب المساعدة على حرب القرامطة وكانت الدولة السلجوقية في أيام ازدهارها وقوتها يدير شئونها ذلك

الوزير الصالح المشهور بسداد الرأى (نظام الملك) وقد قرر سابقا القضاء على القرامطة عندما اتصل به رسل من ابن العياش يطلب المساعدة على حرب القرامطة في الاحساء والقضاء عليهم فأرسل له قوة بقيادة أحد حجاب السلطان ملكشاه السلجوقى ويدعى (كجكينا) . وفى طريق هذا الجيش الى القطيف اعترضته بعض القبائل ونشب بينهم وبينه قتال كان النصر فيه لجيشه ولما وصل الى القطيف ارتاب فيه ابن العياش ورفض مقابلته وقال لرسلة الذين توسطوا في جلب هذا الجيش أنا لا أستطيع مقابلة هذا القائد (كجكينا) وهو بهذه القوة خوفا من غدره بى وأنا طلبت أن تكون المساعدة محدودة بأربعمائة رجل أو حول ذلك وتشترك مع جيشى وتحت قيادتى . أما أن يأتينى جيش بهذا العدد وتحت قيادة شخص غيرى فلا ، وبدأت الحرب بين ابن العياش وجيش كجكينا الذى كان أكثره يتألف من القبائل العربية فاستطاع ابن العياش أن يستميل بعض القبائل الى جانبه فانهزم جيش كجكينا ورجع كجكينا وبقيته أصحابه الى البصرة في أسوأ حالة .

(١) السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه ابن السلطان الب أرسلان تولى السلطة بعد قتل أبيه عام ٤٦٥هـ .

(٢) نظام الملك أبو على الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان الب أرسلان ثم ابنه السلطان ملكشاه السلجوقى المشهور بحسن السيرة والكفاءة .

شجرة آل ابراهيم
من عبد القيس من ربيعة من نزار
الملقبون بالعيونيين



شجرة آل ابراهيم من عبد القيس من ربيعة من نزار الملقبون بالعيونيين

وعندما وصلت رسل (عبدالله بن علي) الى بغداد في طلب المساعدة على حرب القرامطة أمدوه بجيش قوامه سبعة آلاف بقيادة (اكسك سلار) (٣) التركمانى وتوجه القائد بجيشه الى الاحساء ومر بالبصرة ثم وصل القطيف وقرر احتلالها من ابن العياش أولا ليثأر لكجكينا وجيشه وثانيا لحفظ خطوط مواصلاته فهاجم القطيف وهزم ابن العياش الذى فر الى جزيرة (أوال) واحتل (اكسك سلار) القطيف ونهب كل ما لابن العياش فيها من أموال وعين فيها من يحفظها ثم اتجه الى الاحساء واشترك مع جيش عبدالله بن علي فى محاصرة الاحساء . ولما طال الحصار على القرامطة ونقصت عندهم المؤن أرسلوا الى اكسك سلار يطلبون الصلح مقابل دفع أموال طائلة اليه فطمع التركمانى فى المال وأجابهم الى ذلك فطلبوا منه هدية شهر ويفك عنهم الحصار فتم الصلح بينهم على ذلك وسلمت له الرهائن وفك الحصار .

لم يضيع القرامطة الوقت بل دأبوا يجمعون الأطعمة وكل ما يعينهم على مواصلة القتال وتحمل الحصار فلما أتموا استعدادهم نقضوا الصلح ، وتحصنوا وراء أسوارهم وناوشوه القتال فغضب اكسك سلار وأمر بقتل الرهائن وشدد عليهم الحصار ، وطالت مدة

الحصار وأقبل الصيف بحرارته فسئم اكسك سلار وجنده من شدة الحر فى الظهيرة ولا ننسى البعوض والحمى (الملاريا) فالاحساء كثيرة المياه والمستنقعات الراكدة ، وقلة الأطعمة واقتصارها على التمر والسّمك المجفف واللحم وحليب الابل وذلك لبعده مواصلاته فأقرب بلد له هو القطيف والقافلة من الابل تحتاج الى مسيرة حوالى أربعة أيام لقطع المسافة بين القطيف والاحساء (فأوال) البحرين فى يد (ابن عياش) وهو فى حرب معهم بعد طرده من القطيف أما مواصلاته مع البصرة فتحتاج الى مدة طويلة ثم ان المزارع والنخيل التى فى الاحساء خارج الأسوار قد هجرها أهلها وامتدت اليها يد الجند المحاصرين بالتخريب .

أما القرامطة المحاصرون فكان الوضع بالنسبة لهم جيدا فالصيف قد أقبل والنخيل داخل الأسوار سيبدأ انتاجه والمياه وفيرة وحصونهم قوية وهم يعيشون فى بلدهم الذى اعتادوا على مناخه .

شكا اكسك سلار لعبدالله بن علي ما يخلج فى نفسه من جراء ذلك فقال له اترك معى مائتى جندي من جيشك وعد الى بلادك ونحن سنكفيك أمر القضاء على القرامطة فوافق وأمر أخاه (البكوش) بالبقاء مع مائتى جندي وعاد بالباقيين الى

(٣) القائد اكسك سلار ويدعى (ارتق) التركمانى المتوفى ٤٨٤هـ له ذكر فى التاريخ انظر كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان .

العراق وعندما تم انسحاب اكسك سلار بمن معه من الجند هاجم ابن عياش القطيف واسترجعها من يد الولاة الذين عينهم اكسك سلار عليها بعد رحيله .
وطمع القرامطة المحاصرون والقبائل البدوية في عبدالله بن علي واتفقوا على مهاجمته فعينوا لهم موعدا وخرج القرامطة من حصونهم واجتمعت عليهم جموع بنى عامر واشتبكوا في معركة ضارية تسمى بمعركة (الرحلين) نسبة الى المكان المعروف (بالرحلين)^(٤) تمكن فيها عبدالله بن علي وجنده من هزيمتهم واحتلال حصونهم واستسلم القرامطة لعبدالله بن علي العيوني وانتهى بذلك عهدهم .

معركة ناظرة

بعد أن استرجع ابن العياش القطيف قرر مهاجمة عبدالله بن علي في الاحساء قبل أن يستفحل أمره فزحف بجيشه من القطيف الى الاحساء ووصل الى مكان يقال له ناظرة (قريبا من قرية المقدام)^(٥) وبرز له عبدالله بن علي بجيشه ودارت بين الجيشين معركة انتهت بهزيمة ابن العياش . وطارده عبدالله بن علي الى القطيف وتمكن من احتلالها وفر زكريا بن يحيى بن العياش الى أوال

فأمر عبدالله بن علي قوة من جيشه بقيادة ابنه الأكبر الفضل بن عبدالله بعد أن أعد لهم من السفن ما يكفى لنقلهم الى أوال بمهاجمة ابن العياش فيها واحتلالها وعبرت القوة الى أوال ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها جيش العيونيين وقتل العكروت في هذه المعركة وكان وزيرا لابن العياش ويعتمد عليه اعتمادا كبيرا وكان ذا مكر ودهاء أما ابن العياش ففر الى العقير ومنها تمكن من الاتصال ببعض القبائل البدوية الموالية له وجمع جيشا منهم هاجم به القطيف فالتقى به عبدالله بن علي بجيشه ودارت بينهم معركة قتل فيها ابن العياش وانهزم جيشه وفي ذلك يقول الشاعر ابن المقرب :

أتى مغيرا فوافا جو (ناظره)
فعاين الموت منا دون ما زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى
حبيل السلامة الا السوط والقدما
فانصاع نحو أوال بيتغى عصما
اذ لم يجد في نواحي الخط معتصما
فأقحم البحر منا خلفه ملك
ما زال مذ كان للأهوال مقتحما
فحاز ملك (أوال) بعد ما ترك ال
عكروت بالسيف للبوغاء ملتزما
وصار ملك ابن عياش وملك أبي الب
هلول مع ملكنا عقدا لنا نظما

(٤) الرحلين موضع بين بلد العمران وبحيرة الاصفى في الاحساء . انظر تحفة المستفيد ١٠٠/١ .

(٥) المقدام : قرية معروفة الى الآن في الاحساء . تحفة المستفيد ١٠٠/١ .

غزوة بنى عامر

بعد أن تمت لعبدالله بن على السيطرة على اطراف البحرين الثلاثة الأحساء والقطيف وأوال رجع الى الأحساء فقطع العوائد التى كانت لشيوخ بنى عامر ايام القرامطة وكانت تدفع لهم لكف اذاهم عندما ضعف امر القرامطة فطالبوا بها فرفض أن يدفعها لهم فاجمعوا على حربه واجتمعت عليهم جموع كثيرة من البادية واقبلوا على الأحساء يسوقون امامهم الابل فلما برز لهم جيش عبدالله بن على ساقوا عليه الابل وهذه خطة حربية معروفة فى جزيرة العرب وقد استعملت مرارا كثيرة فى الحروب وأتت بنتائج حاسمة فى كسب المعارك ولكنها فى هذه الواقعة انقلبت على اصحابها حيث استعد القائد المحنك عبدالله بن على لهذه الخطة فأرجف من ناحيته بالطبول والزعيق والأبواق فارتدت الابل على اصحابها وانعكست الآية فربح عبدالله بن على المعركة وشتت شمل اعدائه وهكذا استتب له الأمر فى اقليم البحرين وعين ابنه (الفضل) اميرا على القطيف ونواحيها وابنه (على) اميرا على جزيرة اوال .

الخلاف بين السلاجقة وبين عبدالله بن على العيوني

تعرضت العلاقات بين عبدالله بن على وبين السلاجقة لخلاف كان سببه ان

الوفاق لم يدم طويلا بين عبدالله بن على و (البكوش) أخو (اكسك سلار) الذى بقى مع عبدالله بن على فى مائتى جندى بعد أن انسحب أخوه فدب التنافس بينهما على الحكم وتطور الى الحد الذى حدا بالأمير عبدالله بن على أن يقبض على (البكوش) ويسجنه ثم أمر بقتله فقتل وقد ازعج هذا الخبر حكومة السلاجقة فوجهوا له جيشا بقيادة (ركن الدولة) وهذا لقبه أما اسمه فلم يتيسر لنا معرفته . حيث أن مصدر هذه الحادثة هو ديوان الشاعر ابن مقرب فى قصيدته الميمية التى مطلعها :

الم يأن أن تنسى عسى ولعلما
وتترك ليتا للمعنى وربما
الى ان يقول :

ونحن حميناها الاعاجم بعدما
اقامت تروم الملك حولا مجرما (*)
ضربنا وجوه الشركسية دونها
واقفاءها بالسيف حتى ثلما
وقد عززتهم من نزار ويعرب
لشئنناكم قوم وقوم تبرما
فعذنا ببيض ذكرتهم حدودها
بما كان من اخبار كسرى ورستما
فراحوا وراح الركن فيهم كأنه
صريع عقار بات منها مجشما
وفى الميمية الأخرى التى مطلعها : قم
فأشدد العيس للترحال معتزما يقول
الشاعر :

والشركسية اذ جاءت تطالبنا
دم البقوش وفيما تقسم القسما
شيئان عندهم كانت رعيقتنا
عوننا علينا ضلالا منهم وعمما

* المجرم : الكامل .

ففرج الله والبيض الحداد لنا
وعزة لم تكن يوم لنا غشما
وأصبحت حاسدونا من قبائلنا
لحما اقام له جزاره وضما
لكن عفونا وكان العفو عادتنا
ولم نؤاخذ اخا جرم بما اجترما

ومن هذه الأبيات الشعرية نجد أن هذه
القوة لما أتت الى الأحساء تطالب بدماء
(البكوش) واصحابه الذين قتلهم
عبدالله بن علي انضمت اليهم أكثر قبائل
الأحساء وتحصن عبدالله بن علي مع من
كان معه من أهل بيته ومؤيديه وطال
الحصار لمدة سنة فاضطر عبدالله
بن علي ان ينزل لهم من حصونه
ويستमित هو ومؤيدوه في قتال الشراكسة
ومن معهم ومن الله عليه بالنصر عليهم
وغادروا الأحساء مهزومين . اما الذين
ساعدوهم من قبائل العرب فقد عفا عنهم
ولم يؤاخذهم بما بدر منهم .

وهناك رواية أخرى كتبها شارح
ديوان ابن مقرب عندما شرح البيتين
التاليين :

من ذا يقاس بعبدالله يوم وغى
في بأسه ويبارى جوده كرما
هذا الذى جاد بالنفس الخطيرة في
عز العشيرة حتى استرحل العجما

يقول ان الأعاجم اقاموا بالأحساء
سنة كاملة واعانهم أكثر أهل البلد من
قحطان وغيرهم من نزار فلما طالت عليهم
المدة وتيقنوا انهم لا يقدرّون على النصر
ارسلوا الى الأمير عبدالله بن علي العيوني
ان يقبضهم قاتل صاحبهم وهو رجل من
كبرائهم قتله الأمير (علي بن عبدالله

العيوني) فبذل لهم الأمير الدية فلم
يقبلوا الا القود فقال علي بن الأمير
عبدالله بن علي العيوني انى اقودهم
نفسى سلامة لكم ولم يخبر أباه لألا يقبض
عليه فأشتلت الأعاجم من الأحساء
بعلي بن الأمير عبد الله بن علي العيوني
حتى بلغوا كرمان واقاموه بها مدة فبعث
الى سلطانهم يسأله جارية تخدمه فبعث
اليه بجارية حسناء ذات جمال فغشيها
فحملت منه وولدت غلاما فسماه
(جساسا) ، ثم أن الأمير عبدالله
بن علي بعث الى ولده على رجلا من أهل
الأحساء من بنى امية من ذرية عثمان
بن عفان رضى الله عنه يقال له عزيز بن
محفوظ ليحتال في اخراج (علي) من ديار
العجم وبعث معه مالا كثيرا فसार ذلك
الرجل حتى بلغ كرمان فما زال يتوصل
الى السجان حتى صار يهدى اليه ويتحفه
من الجواهر وغيرها فظن السجان ان له
غرضا وانه يريد بذلك التوصل الى غرضه
فقال هل لك حاجة وتقضى ان شاء الله
فأخبره بخبره واحتال السجان في
اخراج خفية فأخرجه ليلا ودفعه الى
الأموى فأختفيا حتى خرجا من اعمال
كرمان وسارا حتى بلغا البحرين وبقي
ولده (جساس) في كرمان حتى مضت
عليه سنوات وبعث اليه جده الأمير
عبدالله بن علي العيوني فجىء به وظهرت
منه شجاعة عظيمة وسلاحه (السيف
والدبوس) انتهى كلام شارح الديوان .

هذه الرواية تختلف عما ذكره الشاعر
ابن مقرب في شعره ونحن لا نستبعد

الروايتين أى ان هناك مناوشات وحروباً بين الشراكسة والعيونيين وأخيراً وبعد قتال وحصار دام سنة حتى ملوا من طول الإقامة بعيداً عن ديارهم ومن قسوة الحياة التى يعيشونها اثناء محاصرتهم للأمير عبدالله بن على وجنده فقرروا الرحيل على شرط أن يسلم لهم الأمير رهينة لتكون معهم فى رحلتهم ليأمنوا انسحابهم الى بلادهم وتردد الأمير فى ذلك ولكن ابنه (على) تطوع وقدم نفسه رهينة على شرط أن ينسحب الجيش ويرفع الحصار وهكذا تم الانسحاب ونحن لا نتصور ان علياً سلم نفسه ليقاد فى من قتل من الشراكسة ولو كان كذلك لقتل ولكنه سلم نفسه كرهينة واشترطوا له سلامته فلما وصلوا الى بلادهم ابقوه عندهم وحبسوه فخلصه والده حسبما ذكرته الرواية .

حادثة القارونى

تعرض الأمير (عبدالله بن على) مؤسس الدولة العيونية لمتابعب كثيرة فى السبع السنوات الأولى من حكمه واضطر الى خوض حروب عديدة منها ما ذكرناه

سابقاً ومنها أن شخصاً من امراء العجم يلقب (بالقارونى)^(٦) ولعله كان يعيش فى الأحواز بقرب نهر قارون حيث لم يبق ما يطلق عليه هذا الاسم الا النهر جهاز حملة كبيرة وزحف لاحتلال البحرين وارسل امامه طليعة من جيشه بقيادة أحد رجاله فلما قاربت الطليعة ممتلكات الأمير عبد الله بن على العيونى قرر ملاقاتها بالترحاب والاكرام ولما التحق بها الأمير وجيشه عاملهم نفس المعاملة فسأل الأمير القارونى الأمير العيونى عن عمان وما هو الطريق اليها فحسن له الأمير العيونى ذلك واخبره عن الثروة العظيمة فى عمان وسهل امر احتلالها فطلب منه ادلاء يدلونه على الطريق الى عمان فجهز له ادلاء من قبيلة (بنى خارجه) واوصاهم ان يأخذوه الى رمال الربع الخالى وأن ينسحبوا عنه ليلاً ويتركوه هو وجيشه فى الصحراء وفعلوا تم ذلك وهرب البدو والادلاء عنه ليلاً ومات هو وجيشه ولم يبق غير واحد كما تقول الرواية وصل الى الأحساء فى اسوأ حالة ويقول ابن مقرب فى ذلك :
وسل بقاروت هل فازت كتائبه
لما اتتنا وهل كنا لها غنما

(٦) واورد الشيخ يوسف بن راشد آل مبارك قوله : « اما بلاد قارون فلا اعرف بقرب الاحساء بلاداً بهذا الاسم ، والذي اعرفه ان قاروت بك بن داود اخو السلطان الب ارسلان ، كان حاكماً لكرمان وحكمها اولاده من بعده ، وهم الذين سجنوا ولد عبدالله بن على حتى سعى والده باطلاقه حسبما ذكره شارح الديوان . ونحن نؤيد ما ذكره الشيخ يوسف لانه اقرب الى الصواب ، فالاصح قاروت فيصبح الشاهد وهو بيت شعر للشاعر ابن المقرب قوله :

وسل بقاروت هل فازت كتائبه : لما اتتنا وهل كنا لها غنما ..

فالرجل اسمه قاروت ، وان ما ذكر فى الديوان انما هو من اخطاء النساخ ، او بدلت القاء بالنون فى الطباعة فجاءت « قارون » بدل « قاروت » وهو الأرجح .

دفع أمير العيونيين للساعة على الدّخل

فمات عامه من الإفراط في الكرم

وغيرها وتوحيده لاقليم البحرين تحت راية دولته وتأمينه السبل واعادته للدين الاسلامي حرمة فشيدت المساجد التي هدمها القرامطة وأنشئت المدارس لعلوم الدين واللغة وكان ساعده الأيمن في كل ذلك ابنه (الفضل) الذي ولاه القطيف والبحرين ، واتخذ الأمير عبدالله بن علي العيوني الأحساء عاصمة لدولته .

وفي حوالى عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م فجع الأمير عبدالله بن علي بقتل ابنه الفضل على يد خدمه في جزيرة (تاروت) فحزن عليه حزنا بالغا وعين ابنه الشاب (أبا سنان محمد بن الفضل) واليا على القطيف والبحرين من قبله ، ويقول الشاعر ابن مقرب في الفضل بن علي :
وان تفتخر بالفضل فضل بن عبدل
فيا بأبى اعراقه ومناسبه
همام حمى البحرين سبع ومثلها
سنين وسارت في الفياق مواكبه
ولم يرع من (ثاج) الى الرمل مصرم

عهد الأمير عبدالله بن علي العيوني

امتد عهد الأمير (عبدالله بن علي) ستين سنة من بداية حركته حتى وفاته استنادا على ما ذكره المؤرخون وبذلك تكون وفاته عام ٥٢٦هـ / ١١٢١م عن عمر يناهز المائة لأننا نجد ان عمره يناهز الأربعين عندما قام بحركته عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م حيث كان ابنه (الفضل) و (علي) رجلين اشتركا معه في حروبه ، وكان الأمير عبدالله بن علي يتميز بكثير من الصفات الحميدة التي يتميز بها مؤسسو الدول من امثاله لذلك صمد هذا الرجل في وجه الحوادث والمؤامرات المتلاحقة التي المت به في بداية تأسيس دولته ولفترة دامت سبع سنوات متتالية ثم استقر له الأمر ومن اعماله الجليلة قضاؤه على بقايا القرامطة وعاداتهم السيئة كعادة (الماشوش) (٧)

(٧) الماشوش : وعادة الماشوش ان تجتمع القرامطة رجلا ونساء في يوم معين من ايام السنة ويأتون من الافعال ما ينافي الآداب والأخلاق . واورد الشيخ يوسف ان للدكتور جواد علي بحثا في مجلة الرسالة عن هذه العادة .

منا الذى من نداه مات عامله
غما وأصبح فى الأموات مخترماً^(٩)

وقصة ذلك ان هذا العامل اتاه بأموال
من جزيرة اوال فيها اللؤلؤ والذهب
والفضة وكان فى مجلسه شاعر من أهل
العراق يدعى الثعالبي فأمر الأمير عامله
ان يدفع جميع الأموال التى جاء بها الى
الشاعر فقال العامل هل تدري كم هذا
المال هذا المال كثير فيه لؤلؤة واحدة بألف
دينار فقال ادفعه اليه فما اراه كثيرا ولو
كان أكثر لزاد سرورنا باعطائه اياه
فسقط العامل مغشيا عليه ومات غما .

وفى حوالى عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بدأت
الأمر تسوء بين الأمير أبى سنان وبين
عميه أبى المنصور على بن عبدالله وأبى
على الحسن بن عبدالله وسبب ذلك ان
(غفيلة بن شبانة) رئيس قبيلة بنى عامر
اراد ان ينزل فى وقت الصيف على
القطيف فبعث اليه ابو سنان بألا ينزل
على القطيف بل ينزل الأحساء لأنها أكبر
وتحتل قبيلته اما القطيف فلا تحتل
نزلهم عليها فأصر غفيلة ان ينزل
القطيف فأنذره ابو سنان ان يرتحل فلم
يفعل فهجم عليه ابو سنان بجيشه
ليرغمه على الارتحال فدارت بين الطرفين

على عهده الا استبيحت حلائبه
زمان يقول العامرى لمن غدا
يحدثه عنه وذو الحمق غالبه
متى يستوى من (نار برد) محله
واخر سودى بعيد مذهبه
فلم يستقم القول حتى اذا به
يسايره والدهر جم عجائبه
فقال له الآن التقينا فأرعدت
فرائصه والجهل مر عواقبه^(٨)

عهد الأمير ابى سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن على العيونى :

كان ابو سنان واليا على القطيف
والبحرين بعد قتل والده الفضل وطوال
مدة حياة جده عبدالله بن على العيونى
ويتبين ان لأبى سنان منزلة رفيعة عند
جده حيث قدمه على عميه (ابو منصور
على) و (ابو على الحسن) وأوصى له
بولاية العهد من بعده ولما مات عبدالله
بن على حوالى عام ٥٢٦هـ / ١١٣١م تولى
الامارة ابو سنان محمد بن الفضل وولى
عمه ابو المنصور على الأحساء وكان
ابو سنان مشهورا بالشجاعة والكرم الى
حد الافراط والتبذير ، فقد ذكر
ابن المقرب ذلك حين قال :

(٨) وقصة هذه الابيات ان الفضل قد حمى (السوده) وهى منطقة معروفة الى الآن بهذا الاسم (الحمى)
معروف فى جزيرة العرب على مر العصور ، فدخل هذا العامرى الحمى يرعى ابله فجاءه شخص وساله اما
تخشى الفضل بدخولك الحمى قال ان الفضل بعيد منى يسكن فى (نار برد) وفى بعض النسخ وكر باباد قرية
فى جزيرة البحرين وانا فى (السوده) فقال له انا الفضل ولما عرف ذلك اسقط فى يده فعفى عنه وقال له لا تعد
مثلها .

ومن هذه الابيات نعلم ان الفضل تولى القطيف والبحرين (سبع ومثلها سنين) اى اربع عشرة سنة .

(٩) مخترماً : المخترم المتقطع ، واخترمه الموت اقتطعه .

معركة انهزم فيها غفيلة حتى دخل جيش
ابى سنان وسط حلة غفيلة وأمر
أبو سنان بقطع أظناب بيته وأسقطه ولها
جند ابى سنان فى الزهب فعطف عليهم
غفيلة بمن عاد معه من افراد قبيلته
وانهزم جند ابى سنان وبقي هو فى
المعركة مع قلة من جنده فطمعوا فيهم
وهاجمهم بسيفه وقتل منهم عدة افراد
ويقال ان من جملتهم رجل شقة ابو سنان
نصفين بضربة واحدة من سيفه ولقب
لذلك (بالشقاق) فتقهقروا عنه ورجع
الى البلد مع من بقى من اتباعه ولم يتبعه
احد من بنى عامر خشية منه وارتحل
غفيلة الى الأحساء ، وفى ذلك يقول ابن
المقرب فى مدح حفيده محمد بن
احمد بن محمد ابى سنان قوله :

اليك ابن شقاق الفوارس مدحه
تطاطا لها من حاسديك الكواهل
اثرث هذه المعركة فى نفس ابى سنان
وأتهم عميه بتدبيرها فجهز جيشا قاده
بنفسه الى الأحساء فبرز له عماء
ابو المنصور على بن عبدالله وابو على
الحسن بن عبدالله ودارت بين الجيشين
معركة ضارية قتل فيها (ابوسنان)
وأخوه ابوشبيب جعفر بن الفضل
وانهزم الجيش عائدا الى القطيف بجثتى
القتيلين ودفنا فيها وقد رثاه الشاعر
الثعالبي الذى اعطاه المال بقوله :

عزيز ان اعاتب فيك دهرا
قليل همه بمعنفيه
وان الق الملوك ولست منهم
وان اطا التراب وانت فيه
والتفت الى قبر اخيه جعفر وقال :

أعجوبة من عجب الدهر
اطباق لوحين على بحر
لقد كانت هذه المعركة بداية انحلال
وضعف دولة العيونيين وانقسامها الى
قسمين حيث سيطر ابو منصور على
ابن على العيوني على الأحساء ، أما
القطيف وأوال فبعد ان عاد الجيش
المنهزم بجثة أميره ابى سنان بايعوا
اخاه غرير بن الفضل الملقب
(ابو فراس) الذى يقول فيه الشاعر
ابن المقرب :

منا الذى جاد ايثارا بما ملكت
كفاه لا يد يجزيها ولا رحما
وعلق شارح الديوان على هذا البيت
بما يلى (يعنى بذلك الأمير ابا فراس
غرير بن الفضل بن عبدالله بن على
العيوني وكان من حديثه ان الثعالبي قد
امتدحه ذات يوم بقصيدة فتقدم الى
صاحب خزائنه فأمره ان يدفع اليه جميع
مفاتيحها وينتحي عنها فيترك له جميع ما
فيها وكتب له فيها بالتصرف فى جميع
املاكه ، فقال الثعالبي بعض هذا غنى
وسعة فقال الأمير خذه بارك الله لك فيه
ولا تراجعنى فى شىء من ذلك فقبل
الأرض بين يديه وقبل قدميه وقال أنى
أسأل الأمير واطلبه بالحاضرين من
هؤلاء الأكرمين تمام ما أطلب فقال وما
طلبك قال ان آخذ من هذا المال لى الف
دينار ويكفينى فلا زال به حتى أخذ
أربعة آلاف دينار وشكر له ودعا وخرج
من عنده) انتهى ما أورده شارح
الديوان .

أوردنا ذلك للدلالة على أن غرير هو ابن الفضل الملقب (أبى فراس) حيث اختلف الرواة فيه فبعضهم يقول غرير بن محمد أبو سنان (المقتول) وبعضهم يقول غرير بن مقلد التراكى ونحن نرى أنه غرير بن الفضل وهو أخ لأبى سنان وليس ولده .

بعد أن استقر الأمر (لغرير بن الفضل) جهز وحشد جيشا كبيرا قاده بنفسه على الأحساء لأخذ الثأر وهاجمها في السنة الثانية ٥٤٥هـ / ١١٥٠م تقريبا ودارت بينه وبين جيش عمه أبى منصور معركة قتل فيها أبو منصور وسميت هذه المعركة معركة (السليمات) نسبة إلى شجرة السلم وقد قتل من أهل الأحساء في هذه المعركة ثمانون رجلا (والأسرى خمسمائة وعشرون رجلا) وعاد غرير بجيشه منتصرا إلى القطيف وللدلالة على هذه الواقعة نعود لرواية شارح ديوان ابن المقرب إذ يقول (أن أهل الأحساء جرت عليهم شدة عظيمة من الحروب وغلاء الأسعار في سنة معروفة) بسنة السليمات (جرت فيها وقعة سميت وقعة السليمات لشجر سلم نابت في تلك الأرض لأن أهل البادية خربوا فيها أى في

الأحساء في تلك السنة ثمار النخل والزروع والحاشد غرير نزل بأهل القطيف والأعراب قريبا من السليمات وصارت بينه وبين أهل الأحساء وقعة عظيمة وكانت الهزيمة على أهل الأحساء وقتل فيها الأمير أبو منصور والأمير (أبو مذكور)^(١٠) وجميع القتلى ثمانون رجلا والأسرى خمسمائة وعشرون رجلا وقبل ذلك تمرض الزرع ولم تك لهم غلة ثم صارت هذه الحرب بعد فساد الزرع بسنة فأصاب أهل الأحساء مشقة عظيمة فأمر الأمير أبو المنصور بالخزائن فتفتح وتفرق على أهل الأحساء وصار يأمر لكل بيت بما يكفيهم من حنطة وتمر وشعير حتى بلغوا ثمرة القيط وعند الحصاد أمر مناديا ينادى في الناس بأن حقوقه من ضمان وغيره مطروح عنكم فاستعينوا بذلك ولا زال ينفق عليهم حتى كثرت معائشهم وصلحت ثمارهم) .

هنا لنا تعليق على الرواية وهو أن الأمير الذى عناه الشارح هو الأمير شكر ابن الأمير أبى منصور الذى تولى الحكم من بعده وهو المشهور بهذه المكرمات لأن والده أبا منصور قتل في المعركة والمكرمة اتت بعد المعركة والبيتان المشروحيان هما :-

(١٠) أبو مذكور بطلال بن الأمير مالك بن بطلال أخو عبدالله بن علي العيوني لأمه وكان عظيم القدر فارسا جوادا اشترك في هذه المعركة وهو ابن ثمانين سنة وحمل على أعدائه وهو يقول (لا خير في شيخ لا يجهل) فقتل فيها . وأورد الشيخ يوسف عن وقعة السليمات أن المقتول فيها « السميطن بن أبى منصور » وليس « أبو المنصور » هو الذى قتل فيها ، معتمدا على ما ورد في قطعة لمخطوط مجهول المؤلف ، ونحن اعتمدنا على شرح ديوان ابن المقرب ص ٤٥٦ ، طبعة الهند سنة ١٣١٠هـ ، والتي ذكر فيها أن المقتول في هذه الواقعة هو « أبو المنصور » .

والأمير الحسن بن عبدالله على القطيف والبحرين .

عهد شكر بن علي بن عبد الله بن علي العيوني

تولى شكر حكم الاحساء بعد مقتل والده حوالي عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م وكانت الاحساء في حالة تدهور اقتصادي ومجاعة بعد حربين في سنتين متتاليتين فوضع شكر عن اهل الاحساء المكوس وساعدهم في التغلب على الازمة وكان (ابو مقدم) وهي كنيته موصوفا بالعلم والورع والفروسية ولكن البدو الذين شملتهم الازمة الاقتصادية طمعوا في الاحساء وخاصة بعد الهزيمة التي لحقت بجيش الاحساء وقتل ابي منصور فتجمع البدو بقيادة رجل يقال له (حماد النائي او الوائي) وهاجموا الاحساء في اعداد كثيرة وحاصروها شهرا ثم استطاعوا اقتحام الاسوار ودخلوا المدينة وكادوا يسيطرون عليها وقتل منهم خلق كثير حتى انتنت من دمائهم الارض ولذلك سمي مكان الواقعة بالخايس .

ويقول ابن مقرب في ذلك :

منا الذي عام حرب النائي جلا يوم السبيع ويوم الخايس الغمما ومات شكر بعد منتصف القرن السادس اي حوالي ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م وبعد وفاته تولى ابن اخيه محمد

منا الذي فض اموال الخزائن في غوث الرعية لا قرضا ولا سلما واهمل الدخل ذاك العام وانتعشت به الرعية حتى جازت الفحما (*)

لم تطل مدة ابي فراس غريير بن الفضل في الحكم فقد قتله احد اقاربه ويدعى (هجرس بن محمد) ونحن نعتقد ان هجرس هذا ابن اخ لأبي فراس أي ان نسبه هو هجرس بن محمد ابو سنان بن الفضل بن عبدالله بن علي العيوني والسبب الذي دعاه لقتل عمه اعتقاده بأنه أولى من عمه بولاية عهد والده المقتول ابي سنان ولعل عمه اساء معاملة ابناء اخيه وكانوا شبابا مراهقين فقرر قتل عمه وتولى السلطة بعده على القطيف والبحرين . وكان شابا صغير السن لم يستطع ضبط أمور البلاد فساعت الحالة واضطربت الأمور مما سهل على عم ابيه الأمير الحسن بن عبدالله بن علي العيوني ان يجهز عليه بمساعدة ابن اخيه الأمير شكر بن ابي المنصور على بن عبدالله بن علي الذي تولى امارة الأحساء بعد قتل ابيه في معركة السليمات كما ذكرنا سابقا وكانت مدة حكم (هجرس) سنة واحدة بدأت سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م وانتهت في سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م تقريبا ونتيجة لهذه الأحداث أبعد آل الفضل بن عبدالله ابن علي العيوني عن الحكم وتمت السيطرة للأمير شكر على الأحساء

• الفحما : الشدائد .

على شاطئ سيرة :

مَرْقُ العيُونيون

مِسْ نَام سَارَ وَأُسْرُو الْقَائِد

٥٤٦ هـ / ١١٥١ م وكان له من الاولاد ثلاثة : وهم شكر وعلى والوزير وفي زمانه هاجم البحرين حاكم جزيرة قيس الذي يسمى ابا كرزاز بن سعد بن قيصر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . فقد قام بحملة بحرية نقلها بالسفن الى البحرين بقيادة اخيه نام سار بن سعد بن قيصر ونزلت القوة في جزيرة (سيرة)^(١١) والتقت بقوات العيونيين بقيادة الحسن وابنه شكر ودارت بين الجمعيتين معركة ضارية انهزم فيها الجيش المهاجم وأسرقائده نام سار ، ويقول ابن المقرب في هذه الواقعة :

ويوم سيرة منا كان صاحبه
لاقت به سامة والحاسك الرغما
الفين غادر منهم مع ثمان مئة
صرعى فكم مرضع من بعدها يتما
والشاعر يصف لنا بأن قتل المعركة
كانوا الفين وثمانمائة ولم يرجع منهم الى
قيس الا القليل اما (نام سار) فقد اخذ

بن منصور بن علي الملقب بابي منصور
واحيانا بابي ماجد وكان مشهورا
بالشجاعة والهيبة ، يقول ابن مقرب :
منا الذي منع الاعداء هيبته
حرب البلاد فما شدوا لهم حزما
ومات يطلب يوما يستلذ به
يطبق الارض نقعا والحضيض دما
ويقول شارح الديوان ان البدو كلما
حاولوا غزو الاحساء منعهم هيبته ،
ومات محمد في حوالى عام
٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م وتولى بعده اخواه
شكر وعبد الله ابني منصور بن علي بن
عبد الله العيوني .

عهد الامير ابو علي الحسن
بن عبد الله العيوني على القطيف
والبحرين

اما القطيف والبحرين فقد سيطر
عليهما ابو علي الحسن بن عبد الله
بن علي العيوني حوالى عام

(١١) سيرة : جزيرة من جزر البحرين .

الى الحسن بن علي اسيرا فاكرمه واطلق
سراحه واعاده الى اخيه في جزيرة قيس .
وكان الامير الحسن بن عبد الله
العيوني كريم النفس محبا للخير يقدر
الرجال ذكر افعاله ابن مقرب في ميمته
ببيتين من الشعر قال :

منا الذي جعل الاقطاع من كرم
ارثا توزعه الوراث مقتسما
وجاد في بعض يوم وهو مرتفق
باربعين جوادا تعلك اللجما

وقصة هذين البيتين كما اوردها
شارح الديوان ، ان قوما من عبد القيس
يعرفون (بالرياشمه) خرجوا من
الاحساء حين ملكها ابو المنصور محمد
بن منصور بن علي بن عبد الله العيوني
خوفا منه وعددهم سبعون رجلا باهلهم
فقصدوا الامير ابا علي الحسن بن عبد
الله في القطيف وقابلوه واجلسهم واطال
معهم الحديث وفي اثناء ذلك امر بان
تجهز لهم بيوت لسكناهم مزودة بالفرش
والادوات والاطعمة واقطعهم بساتين
ليعيشوا منها ويقيت في ايديهم يتوارثونها
خلفا عن سلف ولم يقوموا من مجلسه الا
وامام كل منهم غلام يدله على منزله
واملاكه التي وهبت له ، وذكرت الابيات
انه جاد بأربعين فرسا على اربعين رجلا
في يوم واحد .

ومن هباته ما ذكره شارح ديوان ابن
المقرب وذلك ان (ابا منصور سليم بن
مفلح العيوني) انتقل من الاحساء
وقصد الامير الحسن في القطيف فلما
سمع بقدومه تلقاه ماشيا قبل بلوغه
القصر واقطعه بلدا تسمى (الظهران)
على ساحل البحر ذات نخيل واشجار
وثمار كثيرة وزروع ومداخل من بروجر
فنزل بقصرها وحرّم ان توقد نار بها
للضيافة غير ناره حتى مات ، وفي سليم
هذا يقول ابن المقرب :

وفي سليم لنا عز ومفتخر
ومفلح وهما لله درهما
وفي نفس القصيدة بيت اخر يصفه
وهو :

منا الذي لم يدع نارا بساحته
تذكي سوى ناره للضيف ان قدما

وفي عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م توفي
الامير (الحسن بن عبد الله العيوني)
(١٢) وكانت مدة حكمه على القطيف
والبحرين ١١ سنة وخلفه ابنه شكر بن
الحسن ومدة حكمه اثنتا عشرة سنة
وبعد وفاته تولى الحكم من بعده اخوه علي
بن الحسن بن عبد الله بن علي العيوني
على القطيف والبحرين وفي السنة الثالثة
من حكمه قتله اخوه (الزير بن الحسن)
في المسجد المسمى (بسبب) في

(١٢) وجاء في خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني ، وهو يترجم لشاعرين من شعراء القطيف
قوله : نزل على بن الحسن بن اسماعيل العبدى البصرى القطيف سنة ٥٥٤ هـ والامير بها قوام الدين ابي
المنصور عزيز بن شكر ابن المقلد بن علي بن عبد الله العبدى رحمه الله وانزلني في محله يقال لها
(العطش) انظر مجلة العرب ص ٣٧٩ اما هذا الامير فلم يرد ذكره في شعر ابن المقرب .

عهد الامير محمد بن ابي الحسين احمد بن ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العيوني

استولى محمد بن احمد على القطيف عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ثم ضم الى حكمه البحرين والاحساء واعاد لدولة العيونيين هيبتها ووحدتها ، وقد اتصل محمد بالخليفة الناصر لدين الله العباسي وهو الذي ساعده على بلوغ مرامه وكانت له مكانة عند الخليفة وامتد نفوذه على قسم كبير من صحراء جزيرة العرب واصبحت البوادي تهابه وأمنت السبل في زمانه .

وفي حوالى سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م تعرض (دهمش بن سند بن اجود) وقبيلته لطريق الحاج الى مكة واغتصبوهم وفرضوا عليهم ما ارادوه فشكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ما وقع لهم فبعث الخليفة الى الامير محمد ابن ابي الحسن رسولا يخبره بما وقع على الحاج من (دهمش) وقومه ويطلب منه معاقبته على فعلته ، فاستنفر الامير محمد جميع قبائل البحرين وزحف حتى وصل العراق فانضم اليه من قبائل العراق بنو المنتفق وعباده وخفاجه وزحف على دهمش وقومه وقد انضم الى دهمش بنو الجراح امراء بني ربيعة وهم سعيد بن فضل ومانع بن جديث ومسعود بن بريك بن السمييط وانضمت اليهم قبائل طي وزبيد والخلط وعرب الشام وتقابل الطرفان ودارت بين الجيشين معركة انتصر فيها جيش الامير محمد

(صدد) من البحرين وتولى الحكم الزير لمدة سنتين وقتل غدرا ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م على يد رجل اعجمي فاضطربت احوال القطيف والبحرين بعد قتله . ففي البحرين استولى على الحكم فيها محمد بن ابي الحسين احمد بن ابي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله العيوني وبقي في البحرين سنة ثم خرج منها .

اما القطيف فقد اضطربت الحالة فيها ثم استقرت بعد ان سيطر عليها (حسن بن شكر بن الحسين بن عبد الله العيوني) وضم الى حكمه البحرين بعد خروج محمد بن ابي الحسين منها وقتل الحسن بن شكر عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م تقريبا على يد شكر واخيه عبد الله ابني منصور بن علي بن عبد الله بن علي وحكما القطيف والبحرين .

وباستيلاء المذكورين على البحرين والقطيف اصبحت ذرية ابي المنصور على بن عبد الله العيوني يسيطرون على الاحساء والقطيف والبحرين . وفي عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م هاجم القطيف (محمد بن احمد بن محمد بن الفضل) واخرج منها عبد الله بن منصور وذهب الى اخيه شكر في الاحساء . وقد زال حكم شكر واخيه عبد الله عن الاحساء باستيلاء الامير محمد عليها حوالى ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م وكانت مدة حكم شكر بن منصور على الاحساء سبع سنوات تقريبا .

اغتيال الأمير محمد بن احمد العيوني

اتفق غرير بن الحسن بن شكر بن الحسن بن عبدالله بن علي العيوني وراشد بن عميره بن غفيله رئيس بني عامر على اغتيال الأمير محمد على ان يكون لراشد بن عميره جميع ما كان للأمير من الاموال والذخائر ويتولى غرير حكم البلاد . وقد ترصد راشد للأمير محمد حتى وافته الفرصة وكان الأمير محمد في طريقه بين صفوى والاجام في قلة من رجاله فهجم عليه غرير ابن الحسن وراشد بن عميره وجماعتهما وقتلوه وكان قتله في حوالى عام ٦٠٢ هـ/ ١٢٠٦ م وبعد قتله تولى السلطة في القطيف والبحرين الأمير غرير ابن الحسن وكانت هذه الحادثة بداية النهاية لامارة العيونيين على اقليم البحرين وعاد الصراع بين امراء البيت العيوني ليصبح على اشده في الاحساء والقطيف والبحرين وتمزقت وحدة الدولة وقد استطاع الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن منصور بن علي بن عبد الله العيوني ان يستولى على الاحساء بعد قتل الأمير محمد بن ابي الحسين ويستقل بحكمها وقد امر بسجن الشاعر علي بن مقرب العيوني ومصادرة امواله متهما اياه بموالاة آل الفضل بن عبد الله العيوني وبعد فترة افرج عنه ولكنه لم يرجع اليه شيئاً من املكه فرحل الشاعر الى البصرة وعاد سنة ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م الى الاحساء وامتدحه بقصيدته التي

وانهزم دهمش واصحابه واجار الأمير محمد جميع خصومه الا دهمش فانه لما ضاق به الامر التجأ الى مشهد الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فضربت خيام الأمير محمد قرب المشهد وحاصر المشهد لكي لا يفلت دهمش منه وارسل رسولا للخليفة ليخبره ان دهمش استجار بمشهد الامام علي ويطلب رأي الخليفة فيه فارسل الخليفة رسلا من عنده دخلوا على دهمش في المشهد واصطحبوه معهم للخليفة الناصر فاستتابه فتاب وعفا عنه . وفي ذلك يقول ابن مقرب :

منا الذي ضربت حمر القباب له
بالمشهدين واعطى الامن وانتقما
لولا عياذ بني الجراح منه به
لصاحبت دهمشا او الحقت درما

ولقد كان شاعرنا علي بن مقرب مواليا لآل الفضل بن عبد الله العيوني وخاصة الأمير محمد بن احمد بن ابي سنان بن الفضل فان له فيه اشعارا كثيرة تعد من غرر شعره ومن هذه الاشعار قصيدته التي مطلعها :

رماح الأعادى عن حماك قصار
وفي حدها عما تروم عثار

وقد مدحه بهذه القصيدة سنة ستمائة واثنيتين من الهجرة ٦٠٢ هـ- ١٢٠٥ م ونلمس في هذه القصيدة الخلاف الذي نشب بين بني عامر وبين الأمير محمد والقصيدة كلها تهديد ووعد لهم فلا غرابة ان يستغل اعداء الأمير محمد من البيت المالك العيوني خلافه مع بني عامر ويتآمروا معهم على قتله .

مطلعها :

خذوا عن يمين المنحنى ايها الركب
لنسال ذاك الحي ما صنع السرب
وامل ان يرجع عليه ماله فلم يفعل
فنزح الى العراق ثانية .

**عهد الامير الفضل بن محمد بن
ابي الحسين احمد بن محمد بن
الفضل بن عبد الله بن علي
العيوني**

استطاع الامير الفضل بن محمد
واخوته ان يخرجوا من القطيف بعد قتل
والدهم الامير محمد واتجه الفضل الى
بغداد لمقابلة الخليفة الناصر لدين الله
العباسي حيث كان الخليفة على صلة طيبة
بوالدهم الامير محمد وطلب منه العون
والمساعدة على استرجاع حكمهم والاخذ
بثأر والدهم فأمده الخليفة بالمال والجند
وعاد الى القطيف وهاجم غرير بن الحسن
وتغلب عليه واحتل القطيف حوالى عام
٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ، فقد ذكر شارح
ديوان الشاعر ابن المقرب طبعة الهند
صفحة ٥٠٧ أنه لما كان في طريقه من
بغداد الى القطيف سنة ٦٠٦ هـ /
١٢٠٩ م وقد انحدر بالخرانة التى امد
بها الخليفة الناصر لدين الله الفضل بن
محمد ابي الحسين على حرب القطيف
بلغه خبر قتل ابن عمه المذكور بن عبد الله
بن منصور ورثاه بقصيدة مطلعها :

اضلنك خلت الشوق والنأي ابكاني
فأقبلت نحوى يابس الدمع تلحاني
ومن هذه الحادثة اعتمدنا تاريخ

هجوم الفضل على القطيف .

اما مقدار هذه المساعدة التى امد بها
الخليفة الفضل فقد ذكر ذلك ابن المقرب
في قصيدته التى نظمها في مدح الفضل
سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ومطلعها :

ابت لك العزة القعساء والكرم
ان تقبل الضيم او ترضى بما يصم
الى ان يقول :

فما حباه أمير المؤمنين به
لما اتته به الوخادة الرسم
مستعصما واثقا بالنصر منه وهل
يخيب من بالامام البريعتصم
اجابه حين ناداه وقربه
اشم في راحتيه للندى ديم
وقصيدته الثانية التى مطلعها :

قسما باعراف الجياد الضمر
وبما اثرن من العجاج الاكدر
الى ان يقول :

رضي الخليفة هديه واختاره
وحباه بالحظ الجزيل الاوفر
وامده بخزائن لو صبحت
ذات العماد لأذنت بتدعثر
فيها المجانيق العظام يحفها
نفس تاج ناره بتسعر
وقسي اسد لا يرد نصالها
زبر الحديد ولا صفيح المزبر

تمكن الفضل بهجوم كاسح وبقوة
متفوقة ان يسيطر على القطيف والبحرين
ولكنه دفع ثمن ذلك النصر غاليا فيما بعد
حيث اننا نستنتج ان الفضل قبل ان يبدأ
هجومه اتفق مع امير جزيرة قيس الامير
غياث الدين بن الامير تاج الدين جمشيد
ان يشترك معه في الحرب ويهاجما

بجوشهما القطيف والبحرين ليضمن
لنفسه التفوق على خصومه من اهل بيته
وارتكب بذلك اكبر غلطة تسببت في انهاء
حكم العيونيين وجعلت لحكام قيس
وسلطان شيراز عندما سيطر على جزيرة
قيس وامراء هرمز فيما بعد ذريعة
يتذرعون بها للتدخل في شئون القطيف
والبحرين ويتبين ان نصوص الاتفاقية
كانت سرية لم يدع خبرها الا بعد
النصر . ملخص شروطها - ان يكون
لامير جزيرة قيس ما يلي :

١ - جزيرة اكل^(١٣) ومقاسمها وبرها
وبحرها وخراجها ، وما يتعلق بها .

٢ - جزيرة الجارم^(١٤) وما يتعلق
بها .

٣ - جزيرة الطيور^(١٥) وهي (تواره
وقتان) .

٤ - ادم المدبغة ما خلا مائتي جلد .

٥ - ما في ظهر الحورة وظهر سماهيج
من مساكير السمك الى زروان .

٦ - خمسمائة دينار في كل سنة لملك
قيس .

٧ - ان يكون الخراج والمقاسم
(النخيل) والخاصة والحلقة وطراز
الغاصة والطير والطيارات^(١٦) والعشور
بين ملك قيس وملك العرب نصفين .

٨ - ان يكون ملك قيس من مقاسم
تاروت (الحسيني) و (الحسائي)
ومقسم القصر .

٩ - من مقاسم القطيف بستان
القصور وبستان المشعري ودالية الدار
والدار والفائدة ونصف طراز الغاصة
الذين هم ليسوا من اهل القطيف وخمسة
وثلاثين بهارا من الخراج لملك قيس زيادة
على النصف عوضا عن بستان المصفاة
التي في الاحساء .

عقدت هذه الاتفاقية في سنة
٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م اي في نفس السنة
التي هاجم فيها الفضل القطيف
والبحرين واحتلها .

(١٣) جزيرة اكل : اكل - بضم الالف والكاف - يتضح مما ذكر بعدها انها جزيرة كبيرة فيها بساتين كثيرة
ولها خراج . وهي المعروفة الآن بجزيرة (النبيه صالح) ولها اسم قديم ايضا تسمى جزيرة
(ابن كاوان) . انظرياقوت . وابن حجر في الاصابة وهو يترجم الى صعصعة بن صوحان ، وانظر مرصاد
الاطلاع للبغدادى ٣٣٣/١ .

(١٤) جزيرة الجارم : لا توجد في وقتنا الحاضر جزيرة الجارم وانما يوجد (فشت) كبير يسمى فشت الجارم
يقع شمالي البحرين ، والفشت في اصطلاحنا ارض صخرية ينحسر عنها البحر وقت الجزر ويغطيها في المد
والمشهور بان في فشت الجارم سابقا جزيرة وهذا النص يؤيد ما تناقله الناس عن وجود هذه الجزيرة .

(١٥) جزيرة الطيور : لا نعرف اى جزيرة يعنى الا ان هناك جزيرتان من مجموعة جزر البحرين تسميان في
الوقت الحاضر (الريض) تكثر فيهما الطيور .

(١٦) الطير : لعله يعنى الرسوم التي تفرض على الجزر التي تضع الطيور فيها اعشاشها الكثيرة في ذلك
الوقت وتصاد فراخها وتباع وكذلك كانت تجارة تصدير مخلفات الطيور على هذه الجزر كاسمدة تصدر
للعراق لتسميد الارض الزراعية هناك وعليها رسوم .

الطيارات : قد يعنى بذلك مظلات تقام في اماكن معروفة للبيع والشاء . والمظلة في البحرين تسمى
(طيارة) وذلك قبل اختراع الطائرة .

بعد ان عرف الناس نصوص الاتفاقية
تركت في نفوسهم لوعة واسى يعبر عنها
شاعرنا ابن المقرب في قصيدته التي
مطلعها :

تجاف عن العتبا فما الذنب واحد
وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنى الذي انت حزبه
فوا عجباً ان سالمتهك الابعاد
ثم يسترسل شاعرنا في عتبه وتذمره فيقول :

اذا بلد ساءت اخلاق اهله
فدعه فما يغضى على الضيم ماجد
فما هجر ام غذتك لبانها
ولا الخط ان فارقتها لك والد
وبعد ذلك نجده يوجه النقد في الصميم حين يغمز
الامير الفضل بقوله :

الا ليت شعري هل اجالس فتية
نماها الى العلياء قيس وخالد
عراعر لم تحلل ديار ابن منذر
فتلقي الى الاعداء منها المقالد

وهو هنا يشير الى يوم (ذى قار)
فيتمنى ان يجالس اولئك الفتيان الذين
ينميهم الى المجد والعلواء قيس وخالد
وهذا هو نسب هانيء بن مسعود بن
قيس بن خالد ويصفهم بانهم عراعر اي
(سادة) شم الانوف لم ينزلوا منازل
المناذرة ملوك الحيرة ويلقون الى اعدائهم
مقاليد امورهم وبمعنى اصح انهم لم
يطلبوا رغد العيش عن طريق الذل
والهوان .

وهكذا امضى (الفضل) عشر سنوات
في الحكم يدفع لحكام قيس جزءا كبيرا
من دخل القطيف والبحرين مما اضعف

الامارة فثار عليه العماير وحاربوه
واخرجوه من البلد عام
٦١٦ هـ / ١٢١٩ م تقريبا وتولى الامارة
بعده ابن عمه (مقدم) بن ماجد بن
احمد بن محمد بن الفضل بن عبد
الله بن علي العيوني ويكنى (ابو شكر)
وقد مدحه ابن المقرب بقصيدة يقول
فيها :

وارغب بمدحك الا عن سليل علا
ينمي الى الغر من ابناءك النجب
متوج عبدي حين تنسبه
لخير جد اذا يدعى وخير اب
بنى المعالي لهم (فضل) وشيدها
(ابو سنان) قريع العجم والعرب
و (احمد) وابنه الملك الذي منعت
ما بين نزوى سراياه الى حلب
و (ماجد) كان نعم المستغاث اذا
دعى الى الحرب داعيها فلم يجب
ومن اولئك اذ يعزى ابوته
فليس يدرك في فضل وفي حسب
ولم يمت من (ابو شكر) خليفته
المخجل البدر والمزرى على السحب
(مقدم) كاسمه في كل مكرمة
فان نبي بك دهر فادعه تجب
تسنم الملك لم تقبل عوارضه
وحل من ذروتيه افضل الرتب
ثم اخذ ينصحه بقوله :

لا تركزن الى من لا وفاء له
الذئب من طبعه ان يقتدر يثب
ولا تكن لذوى الالباب محتقرا
ذو اللب يكسر فرع النبع بالغرب
واحسب لشر العدا من قبل موقعه
فربما جاء امر غير محتسب
وغر على الملك من لعب الرجال به
فالملك ليس بثبات على اللعب

وارفع وضع واعترزم وانفع وضر وصل
واقطع وقم وانتقم واصفح وجد وهب
وابسط يدى (فاضل) في الامر تكف به
ما ناب وارم العدا عن قوسه تصب
ففاضل غير خوار (*) ولا وكل
في الكائنات ولا وان ولا وعب (*)
يتضح لنا من هذه الأبيات ان
(مقدم) تولى الملك وهو صغير في السن
وكان لشاعرنا فيه آمال كبار لذلك نراه
يمتدح سيرته ويوصيه بوصايا صادرة
من قلب محب ناصح له ، ولشاعرنا
قصيدة أخرى في مدح الامير (مقدم بن
ماجد) ومعاتبته يقول فيها :

بلا انني قاسيت فيكم مصائب
تهد القوى اذ ادرك الثأر طالبه
فلولا هواكم ما شقيت ولا غدا
يصك برجلي القيد من لا اشاغبه
ولا اجتاحت الأعداء مالي ولا انبرى
يطاولني من ليس تحصى معائبه
ولا نبحت شخصي كلاب ابن ماجد
علانا ولا بالت على ثعالبه
وكان ابن عمي دنية ومناسبي
اذا نصت الانساب يوما مناسبه
والشاعر هنا يعترف بميوله ومودته
التي يكنها لآل الفضل بن عبد الله
العيوني ضد ابناء عمهم ويقول لولا
مودتي لكم ما سجنني الامير محمد بن
ماجد وصادر املاكي .

لم يمهل الغدر هذا الامير الشاب
فمرض ومات بعد فترة قصيرة من حكمه
ولا نستطيع ان نتجاوز بها السنتين

تقريبا . وصدم الشاعر بوفاته لذلك نجده
يرثيه بقصيدته التي مطلعها :

عني اليك حوادث الأيام
ما كل يوم يستطاع خصامي
ان كان قد ادمى حسامك مفرقي
ظلمنا لسوف ترين وقع حسامي
لا يطمعنك في هلاك مقدم
فالقوس قوسي والسهام سهامي
و (مقدم) لا شك طود باذخ
يعلو على الهضبات والأكام
ولقد فقدنا منه اروع (ماجد)
سهل الجنب مؤدب الخدام
كم مقلة زرفت عليه وكم حشى
لمماته حشيت بنار غرام
يا طيب دولته التي ايامها
شية الزمان وغرة الأيام
ان كان ذاك العرش فل فقد رسي
في اثره علم من الاعلام
هل شد عقد التاج بعد (مقدم)
الا فتى قومي وسلك نظامي
من في الملوك اذا يعد كفاضل
لعطا الرغائب او لضرب الهام
ملك اذا قابلت غرة وجهه
مستجديا قابلت بدر تمام
من معشر بيض الوجوه اعزة
سمح على العلات غير لئام
ان فوخروا جاءوا (بفضل) في الندى
و (بجعفر) و (شبيب) القمقام
و (ابي سنان) وابنه و (محمد)
مدني اليسار ومبعدي الاعداد
ومن هذه الابيات يتبين لنا ان شاعرنا
ابن المقرب قد سلم بالامر الواقع - كما هو

* خوار : الضعيف ، الجبان .

* وعب : الذى يأخذ ولم يترك منه شيئا . لعله (رعب) اى جبان .

فليس براق ذروة المجد خوان
فكم له من نعمة بعد نعمة
عليكم واحسان يواليه احسان
وهكذا نجد ان شاعرنا في جميع
اشعاره المتأخرة قد زاد تشاؤمه واصبح
لا يظهر له نور من امل وسرعان ما
ينطفئ ذلك النور ويخبو ذلك الامل وقد
اصبحت دولة العيونيين في اواخر ايامها
يقتل الاخ اخاه ويستبيح حرماته في سبيل
السلطة .

وبعد وفاة (مقدم) حوالى سنة
٦١٨ هـ / ١٢٢١ م تولى الامارة اخوه
(فاضل)^(١٧) ولم تذكر المصادر التى
بين ايدينا شيئاً عن فاضل الا ان مدة
حكمه ثلاث سنوات وفي المروية التى
ذكرناها سابقا مدح ابن المقرب فاضل
وذكر مساعده (ابي قناع) له في تولية
السلطة بعد اخيه وحثه على طاعته
والاسترشاد برأيه وهذا يدلنا ايضا ان
فاضل صغير السن فهو اصغر من اخيه
مقدم وبذلك تكون نهاية حكم فاضل في
حوالى عام ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م .

وقد ذكر ابن المقرب في شعره عدة
امراء من العيونيين هم على التوالى :
مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن علي العيونى وابناؤه أبو

في اصطلاحنا الان - لانه يمدح شيخا من
شيوخ بني عامر وهو (ابو قناع) ويطلب
من الامير فاضل بن ماجد طاعته
والاسترشاد برأيه ويصف المساعدات
التي قدمها ابو قناع للامير وتأنيده
واخضاع الناس لحكمه فيقول :

واشدد بها بأبي قناع انه
نعم المحامي دونها والحامي
واشكر له السعي الذي انقادت به
لك ولد سام كيف شئت وحام
وارض الذي يرضى وقدم امره
واطعه طاعة مقتد لامام
وابو قناع غير نكس ان عرى
خطب شديد الأخذ بالأكظام
ينمي الى الشم الغطارف والذرى
من حارث والسادة الحكام
ولحارث عرفت رئاسة عامر
في جاهليتها وفي الاسلام

بينما كان في ايام محمد بن احمد بن
ابي سنان الذي اعاد لدولة العيونيين
هيبتها يتهدد بني عامر ويوبخهم في
قصيدته التى مطلعها :

الا رحلت نعم واقفر نعمان .

يقول فيها :

لقد ضل قوم من عقيل وما اهتمدوا
بلى انما فيما تمنوه عميان
فيا آل كعب لا تخونوا عهدكم

(١٧) النسخة التى بين ايدينا للمخطوط الموجود في دار الكتب المصرية (المكتبة التيمورية رقم ٦٣٧
تاريخ . ذكر فيها اسم مقدم محرف الى مقلد واخيه فاضل بن معن وهذا خطأ والأصح هو ما رواه شاعرنا
المعاصر لهذه الأحداث .

كما ذكر فيها انه بعد فاضل تولى اخوه جعفر شهرا واحدا ثم ان المساعيد حاربوه فاطلعوه من البلد وملك
بعده محمد ابن مسعود واخوه حسين وحسن مدة سنتين ونصف وبعد ذلك حاربهم الامير منصور بن علي
واخرجهم من البلد قهرا وملك بعد الامير منصور وكل هذا خلط لا يعتد به .

منصور علي بن ماجد اخو محمد بن
ماجد بن محمد بن منصور ثم مقدم بن
غريير بن الحسن ابن شكر وهؤلاء كانت
امارتهم على الاحساء ولم تمتد الى
القطيف والبحرين . وبما ان بحثنا هو
عن تاريخ البحرين فلم نتطرق لهم
باسهاب .

والمصادر التي بين ايدينا تمتد نهاية
حكم العيونيين الى سنة ٦٣٦ هـ/
١٢٣٨ م ولكنها روايات مضطربة تحتاج
الى دراسة وتمحيص وتقول ان آخر من

ولي منهم جزر البحرين محمد بن محمد
ولم نجد لهذه الفترة اي ذكر في شعر ابن
المقرب لان الشاعر توفي في عام ٦٢٩ هـ/
١٢٣١ م .

ولابد لنا قبل ان ننهي بحثنا عن
العيونيين ان نقول : اذا كان عبد الله بن
علي العيوني مؤسس اماره العيونيين
وباني مجدهم فان شاعرنا الكبير ابن
المقرب هو الذي خلد تاريخهم بشعره
ولولاه لما عرفنا عنهم شيئاً يذكر ولطواهم
التاريخ . رحم الله ابن المقرب .